الحجامة

ويحتوي على المباحث التالية:

- الحجامة والتجارب العلمية الحديثة وحديث رسول الله ﷺ.
- العلاج بالحجامة.
- دراسة جامعية تبين أثر الحجامة على مرض الروماتويد.
- التهاب المفاصل الرثياني (الروماتويد)... والعلاج المساعد بالحجامة.

الحجامة والتجارب العلمية الحديثة وحديث رسول الله ﷺ

روي أن أعرابياً من بني فزارة دخل على النبي ﷺ وإذا بحجام يحجمه بمحاجم ثم شَرطه بشفرة، فقال الرجل ما هذا يا رسول الله؟ لماذا تدع الحجام يصنع هذا؟! قال ﷺ: «**الحجم هو خير ما تداويتم به**»[52].

العلاج بالحجامة

تتمثل طريقة العلاج بكؤوس الهواء (الحجامة) في وضع كأس على جلد المريض وسحب الهواء منه بطرق مختلفة لإحداث ضغط سلبي بداخل الكأس، وبسبب ازدياد الضغط الداخلي عن الخارجي، يخرج الدم من الشعيرات الدموية الدقيقة محدثاً ما يشبه الكدمة، وبذلك يخف أو يزول احتقان المناطق الواقعة تحت موضع الكأس، بالإضافة إلى حوادث انعكاسية أخرى تعمل على تسكين الألم وتخفيف الاحتقان.. فإذا استعمل الكأس بدون تشريط الجلد بالمشرط، فهذا ما يعرف (بالحجامة الجافة). أما إذا استعمل الكأس بعد تشريط الجلد فهذا ما يعرف بالعلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء أو (الحجامة الدامية). والعلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء (الحجامة الدامية) من أقدم صور العلاج التي مارستها البشرية بهدف العلاج والتخلص من الألم.. وقديماً استخدم المصريون القدماء هذه الطريقة لسحب الدم والقيح أو الصديد ولعلاج العديد من الأمراض عن طريق إزالة المواد الضارة من الجسم. كما كتب أبقراط يقول: إن إخراج الدم يحتل المكانة الأولى فيما

(52) المستدرك (4 / 28 - 209).

يتعلق بعلاج قائمة طويلة من الأمراض. والتداوي بالحجامة من المندوبات في الشريعة الإسلامية، وقد ورد في فضل التداوي بالحجامة أحاديث كثيرة منها: عن أنس (رضي الله عنه) أنه سئل عن أجر الحجام فقال: احتجم رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة و أعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه. وقال ﷺ: «**إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقُسط البحري**» رواه البخاري ومسلم. والقُسط البحري من عقاقير البحر. انظر عمدة القاري 14 / 681.

وروى البخاري بسنده أن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) عاد المقنع ـ أحد التابعين ـ ثم قال: لا أبرح حتى يحتجم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فيه شفاء.

وعن جابر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «**إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي**» رواه مسلم.

واليوم تستخدم الحجامة بطريقة حديثة و عصرية كصورة من صور الطب التكميلي، كما تستخدم بشكل وقائي للحفاظ على الصحة العامة. وحظيت بتجاوب بعض الجامعات الأوروبية فقامت بإدخال العلاج بكؤوس الهواء في برامجها الطبية كما وجدت بعض الدول في هذا النوع من العلاج فرصة لتخفيض نفقاتها العلاجية.

دراسة جامعية تبين أثر الحجامة على مرض الروماتويد

لقد تمت هذه الدراسة (وهي أول رسالة جامعية) عن أثر الحجامة على مرض الروماتويد وقد قدم هذا البحث من قبل مصطفى

الشيمي[53] والبحث أصلاً هي رسالة ماجستير قدمت من قبل الباحثة الطبية (صهباء محمد أحمد بندق) في كلية الطب جامعة الأزهر فرع البنات، وهي أول رسالة جامعية عن (تأثير العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء على كل من مستقبلات إنترلوكين والخلايا الطبيعية القاتلة في مرض الروماتويد). ويعتبر هذا المرض كما يصفه مقدم البحث: مرض روماتويد مفصلي (التهاب الشبه روماتيزمي).

التهاب المفاصل الرثياني (الروماتويد)... والعلاج المساعد بالحجامة

يعدّ مرض الروماتويد المفصلي (التهاب المفاصل الشبه روماتيزمي) أحد أمراض المناعة الذاتية الذي لا يعرف حتى الآن سبب محدّد لحدوثه، ويعد الروماتويد المفصلي مثالاً للمرض المزمن الذي يصيب الجسم بالتشوه ويؤثر على العديد من مفاصله بصورة متماثلة متبعاً في ذلك مساراً طويلاً ومتردداً على شكل فترات من السكون وأخرى من التفاقم ومؤثراً على المفاصل الصغيرة الطرفية.

ونظراً لطبيعة المرض فقد اعتاد المرضى المصابون بالروماتويد محاولة الاستشفاء بشتى طرق العلاج غير التقليدية كالعلاج بكؤوس الهواء (الحجامة) أو الإبر الصينية والكي إما بالتزامن مع العلاج الطبي المعتاد أو عوضاً عنه، ويرجع سبب إقبال المرضى على هذه الأنماط العلاجية للطبيعة المزمنة لآلام الروماتويد، وعدم قدرة الأدوية على السيطرة الكاملة على الألم

(53) القاهرة ـ مكتب الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، ونشر في مجلة الإعجاز العلمي في العدد (22) ـ 1426 هجري.

وأيضاً للشعبية الواسعة الانتشار لتلك الوسائل غير التقليدية. وتعد طريقة العلاج باستخدام كؤوس الهواء (الحجامة) أحد أشهر الوسائل التقليدية التي يلجأ إليها مرضى التهابات المفاصل، على سبيل المثال في ألمانيا تشير الدراسات الإحصائية إلى أنه من 32 إلى 64٪ من المرضى المصابين بالتهابات مفصلية قد لجأوا إلى الحجامة وذلك في الفترة ما بين عام 1987 إلى 1992.

وتعرف الباحثة صهباء محمد الروماتويد كالآتي: مرض التهابي مزمن يصيب معظم المفاصل كما يصيب أجهزة أخرى ويعتبر أحد الأمراض التي تتصف بالمناعة الذاتية. ويعد الروماتويد أكثر الأمراض الروماتيزمية انتشاراً بعد الفُصال العظمي (خشونة المفاصل). كما أنه أكثرها شدةً وألماً حيث أنه يؤدي إلى تدمير و تشوه المفاصل إذا لم يُعالج مبكراً. وهو يصيب الجنسين ولكنه لدى النساء أكثر بنسبة 3:1 عنه في الرجال، ويتركز ما بين الخامسة والثلاثين والخمسين من العمر إلا أنه يصيب أي مرحلة عمرية من الطفولة إلى الشيخوخة.

وتضيف الباحثة صهباء أيضاً أعراض الروماتويد قائلةً: يبدأ الروماتويد عند حوالي ثلثي المرضى تقريباً بشكل مفاجئ مع شعور بالتعب والإرهاق وضعف عام بما في ذلك الضعف الجنسي. أما الأعراض الخاصة فإنها تظهر عادة بشكل تدريجي بحيث تصيب مفاصل متعددة وتكون الإصابة متناظرة. وتتركز الأعراض في المفاصل على شكل آلام وتورم مع تيبس صباحي، وعادة ما تظهر هذه الأعراض بشكل تدريجي. أما تأثيره على أجزاء الجسم الأخرى فتحدث لدى نسبة مختلفة من المرضى، ويتمثل في ظهور عقد تحت الجلد، جفاف في العينين أو الفم وربما التهاب في أجزاء من العينين، التهاب الغشاء

البلوري للرئة وتليف في نسيج الرئة، التهاب الغشاء المحيط بالقلب (التامور) والتهاب في الأوعية الدموية والأعصاب الطرفية، وفي حالة تأثيره على فقرات الرقبة قد يؤثر على الحبل الشوكي.

العلاج:

إن أهداف العلاج هي: تسكين الآلام، حفظ وتحسين القدرة الوظيفية، الوقاية من التشوه، تصحيح التشوه الموجود وأخيراً وقف تقدم المرض إن أمكن. إذا استطعنا أن نحقق هذه الأهداف فإننا سنساعد المريض أن يعيش حياة طبيعية أو فيها تحسُّن نوعي.

وتقسم الأدوية المستعملة في علاج الروماتويد إلى نوعين هما الأدوية المضادة للالتهاب والأدوية المضادة للروماتويد. وبعض هذه الأدوية يعمل ببطء وأحياناً قد تأخذ شهوراً لكي تحصل الفائدة المرجوة، لذا يجب التحلي بالصبر وعدم ترك العلاج خلال الأشهر الأولى إلا في حالة وجود مضاعفات.

يتمثل العلاج بعد تأكيد التشخيص بمضادات الالتهاب لتخفيف الألم، ثم باختيار أحد مضادات الروماتيزم التي تناسب كل حالة وتشمل هذه الأدوية مضادات الملاريا، خافضات المناعة أو الأدوية الكيمياوية إضافة إلى ما استجد من الأدوية البيولوجية، وهناك خطوات علاجية لا تقل أهمية وتشمل العلاج الطبيعي الوظيفي لمنع تصلب المفاصل وضمور العضلات. وتجدر الإشارة إلى الأهمية البالغة للمتابعة المنتظمة من قبل الطبيب المختص لمراقبة الآثار الجانبية للأدوية المستخدمة والتي وإن كانت قليلة الحدوث قد تكون خطيرة.

أمّا الغرض من البحث فهو تقييم العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء كعلاج

مساعد لمرضى الروماتويد، وتحديد تأثيره على كل من: مستقبلات إنترلوكين الذائبة (SLL-2R) والخلايا الطبيعية القاتلة (NK) في مرضى الروماتويد.

وقد أجريت هذه الدراسة على خمسين مريضاً من قسم الروماتيزم والطب الطبيعي والتأهيل بمستشفى الحسين الجامعي، جامعة الأزهر، تم تشخيصهم كمرضى روماتويد مفصلي طبقاً لمواصفات الجمعية الأمريكية للروماتويد (ARC). تراوحت أعمارهم من 25 ـ 60 سنة واشتملت الرسالة أيضاً على مجموعة ضابطة من عشرة أشخاص من الأصحاء.

اختيار الحالات:

تضمنت الدراسة مجموعتين رئيستين:

1 ـ مجموعة مرضى الروماتويد:

تم اختيار المرضى الخاضعين لهذا البحث في قسم الروماتيزم والطب الطبيعي والتأهيل بمستشفى الحسين الجامعي ـ جامعة الأزهر. وبلغ عدد الحالات التي شملها البحث خمسين حالة تعاني جميعها من أعراض مرض الروماتويد وقد تم تشخيصها طبقاً لمواصفات الجمعية الأمريكية للروماتويد (ARC).

تم تقسيم المرضى إلى مجموعتين بغرض المقارنة:

المجموعة (أ) خضعت للعلاج الدوائي لمرض الروماتويد ممثلاً في العقاقير المسكنة للآلام والمضادة للالتهاب ـ عقار الكورتيزون ـ بالإضافة إلى عقار الميثوتريكسات المثبط للمناعة.

أما المجموعة (ب) فقد خضعت لعلاج مزدوج اشتمل على جلسات منتظمة من العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء، إضافة إلى ذات العلاج الدوائي الذي تلقته المجموعة الأولى. وامتدت مدة العلاج لثلاثة أشهر متتابعة لكلا المجموعتين.

2 ـ مجموعة ضابطة (ج) (غير مريضة):

تم أيضاً اختيار عشر حالات ضابطة لا تعاني من أية أعراض مرضية بهدف المقارنة.

بعد ثلاثة أشهر من العلاج:

أظهرت الدراسة انخفاض معدلات تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة بفارق إحصائي واضح في مجموعة العلاج المزدوج التي أضيف إلى علاجها جلسات الحجامة. بينما لم يسجل أي تغير ملحوظ في مجموعة العلاج الدوائي.

أظهر مستوى تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة في مجموعة العلاج المزدوج علاقة طردية ذات دلالة إحصائية هامة مع درجة شدة المرض قبل البدء بالعلاج وبعد الانتهاء منه عقب ثلاثة أشهر متتالية.

لوحظ وجود توافق إيجابي واضح بين معدلات تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة وجميع المؤشرات الإكلينيكية لنشاط المرض (سجل شدة الألم وعدد المفاصل المتورمة والمؤلمة بالإضافة إلى سجل نشاط المرض DA28).

لوحظ وجود توافق إيجابي واضح بين معدلات تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة وجميع المؤشرات المعملية لنشاط المرض (سرعة الترسيب / معامل روماتويد / البروتين المتفاعل سي).

الاستنتاج:

أوضحت الدراسة تفوق العلاج المزدوج تفوقاً ملحوظاً على العلاج الدوائي بمفرده، شمل جميع المؤشرات الإكلينيكية والمعملية لنشاط المرض.

العلاج بالحجامة ليس مجرد طريقة فعّالة لتسكين الألم فحسب، بل أثبت أيضاً فعاليته في إحداث تأثير تنظيمي على عناصر الجهاز المناعي الخلوية.

العلاج بالحجامة يدعم تكاثر الخلايا القاتلة الطبيعية NK cells ما يعني استنفار وتحفيز القدرة المناعية لتلك الخلايا المحبطة عادة في مرضى الروماتويد. وهو ما يعزز دفاعات الجسم الطبيعية ضد العدوى بأنواعها والتحولات السرطانية التي يزداد تعرض مرضى الروماتويد لها بسبب تعاطيهم الأدوية المثبطة للمناعة.

ثبت إحصائياً وجود انخفاض كبير في معامل الروماتويد. وهذا قد يكون ذا قيمة إيجابية في تجنب مضاعفات الروماتويد غير المفصلية الخطيرة التي يسببها ارتفاع معامل الروماتويد.

أظهر العلاج بالحجامة تأثيراً تنظيمياً على نشاط الخلايا التائية، ممثلاً في انخفاض معدلات تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة SIL-2R بفارق إحصائي واضح في مجموعة العلاج المزدوج التي أضيف إلى علاجها جلسات الحجامة.

التوصيات:

العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء (الحجامة) طريقة فعالة واقتصادية وبسيطة تساعد في السيطرة على نشاط الروماتويد المفصلي.

الحجامة ليست بديلاً عن العلاج الدوائي لمرضى الروماتويد ولا يمكن

استخدامها إلا كعلاج مساند أو مكمل لعلاج للروماتويد الدوائي.

توصي هذه الدراسة بمزيد من البحث للتعرف على الآثار الفسيولوجية للعلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء والآليات التي يعمل بها هذا العلاج وإمكانية الاستفادة من تأثيره على الأمراض المختلفة.

يمكن استخدام معدل تركيز مستقبلات إنترلوكين الذائبة كمؤشر لتحديد نشاط مرض الروماتويد، كما يمكن متابعة ومراقبة تطور المرض واستجابة المريض للعلاج بواسطته.

وقد استخلصت الباحثة تفوق العلاج المزدوج الذي أضيف إليه جلسات كؤوس الهواء مع الإدماء (الحجامة) تفوقاً ملحوظاً على العلاج الدوائي بمفرده، وأوضحت الدراسة وجود فارق ذي دلالة إحصائية بين مجموعة العلاج المزدوج ومجموعة العلاج الدوائي شمل جميع المؤشرات الإكلينيكية والمعملية لنشاط المرض، واقترحت الباحثة إضافة جلسات كؤوس الهواء مع الإدماء لتحقيق نتائج أفضل في علاج مرضى الروماتويد.

إذن فالعلاج بالحجامة يدعم تكاثر الخلايا القاتلة الطبيعية (Natural Killer Cells) ويختصر بـ (NK cell) وزيادة هذه الخلايا تعني زيادة الخلايا التي تبحث عن خلايا الجسم غير الطبيعية مثل الخلايا السرطانية وتدميرها، وللتعرف على هذه الخلايا وعملها أسرد للقارىء العزيز ذلك وهو كالآتي:

الخلايا القاتلة الطبيعية هي مجموعة من الخلايا التي تطلق من قبل الجهاز المناعي غير المتخصص وتعد فصيلاً من الخلايا اللمفاوية المقاومة وتدور باقتدار في الدورة الدموية خاصة الطرفية لمنع أي غزو خارجي لجسم الإنسان

حيث تشارك مشاركة فعالة في عملية المناعة السريعة التي تحاصر الميكروب الغازي وبذلك تقضي على تكاثره ومفعوله في خلية جديدة، وكما جاء آنفاً فإن الواجب الأساسي الآخر لهذه الخلايا القاتلة هو البحث عن خلايا الجسم غير الطبيعية كالخلايا السرطانية وتدميرها، أي عليها أن تقتل الخلايا الورمية والخلايا المصابة بالفيروسات (وربما بعوامل غريبة أخرى).

ولقد أصبح جلياً منذ عدة سنوات أن الخلايا القاتلة تؤدي عملها بكفاءة عالية، حيث إنها تقوم أولاً بالبحث عن الخلية المؤذية وترتبط بها بعد ذلك ارتباطاً وثيقاً، ثم تميتها وتبقي في الوقت نفسه على خلايا بريئة (الطبيعية أو غير المصابة) مجاورة. لكن ما الشيء الذي تفعله بالضبط؟ وكيف تتمكن الخلايا القاتلة من أن تقتل؟

بدأت معالم الجواب في الوضوح، فعقب ارتباط الخلية القاتلة بضحية مناسبة، تتوجه نحو سطح هدفها و تهاجمه حتى تملأه بالثقوب. وبتحديد أكثر، فإنها تمطره بجزيئات من البروتين المميت، حيث تخزّم هذه الجزيئات غشاء سطح الخلية المستهدفة وتضع فيه قنوات على هيئة ثقوب، فتتسرب محتويات الخلية المستهدفة (أي السرطانية) وسرعان ما تموت (أخي هل أن الخلايا القاتلة ذات الصفة العجيبة تعرف نفسها وتعلم من هي ومن أين أتت؟ أو أن خالقاً خلقها وجعلها تسلك ذلك السلوك وتقضي به على الخلايا السرطانية، هل للخلايا القاتلة عقل تفكر به أو أن خالقاً خلقها وأعطى لها تلك الصفات، انظر رفيقي القارئ مدى اللطف الرباني بعباده، ثم من علّم الخلية القاتلة بأن تثقب جدار الخلايا السرطانية ولا تثقب الخلايا المجاورة السليمة؟).. من المسلم به أن يكون الخالق أعقل من المخلوق فهل الطبيعة

التي لا عقل لها خلقت هذه الخلايا القاتلة التي تعمل بهذه الدقة الفائقة فالجواب: كلاّ، إذن من الذي خلق تلك الخلايا؟ الله خلقها حقاً.

إذن فما هو المانع الآن لو قيل أن الحجامة تقوي الجهاز المناعي في جسم الإنسان وهو يعمل على مقاومة السرطان، حيث يعمل على تدمير أي نمو سرطاني في المراحل المبكرة، و يمكن القول أنه يحمي الجسم من السرطان بتأخير نمو الأورام السرطانية.

وأود في موضوعي هذا أن أنبه القارئ الكريم فيما إذا أراد أن يتابع هذا البحث العلمي، أن يراجع مجلة (الإعجاز العلمي) وهي مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة العدد الثاني والعشرون - رمضان 1426هـ. وقد تصرفت في متن البحث وكذلك بعض مصطلحاتها بعض الشيء ليتلائم مع مختلف مستويات القرّاء.